عميد مؤرخى الأدب العربى

أ.د. محمد أبو الفتوح شريف

عميد كلية التربية بدمياط

أستاذى الجليل عميد مؤرخى الأدب العربى، نجم حفل كلية الآداب وجامعة القاهرة، الأستاذ الدكتور شوقى ضيف نائب رئيس مجمع الخالدين، الأساتذة الأجلاء الموقرين، إخوتى وأخواتى، أيها الأصدقاء: بالأصالة عن نفسى وبالإنابة عن مجلس قسم اللغة العربية وكلية التربية بدمياط وشعب دمياط وجامعة المنصورة، جئت اليوم لأنال شرف المشاركة فى تكريم أستاذ من أكابر أساتذة الأدب العربى على الإطلاق.. اسمحوا لى أيها السادة أن أحييكم تحية تقدير وإجلال، وأن أشكر لصاحبى الدعوة الكريمة أ.د. محمد حمدى إبراهيم عميد الكلية، وأخى أ.د. طه وادى رائد اللجنة الثقافية.

أساتذتى / أيها السادة والسيدات، إن الدقائق المتاحة لى، وجلال المناسبة، وتفوق من تفضلوا بالكلام قبلى يجعل الموقف صعبا، وإن كان أستاذنا ممن تعقد حولهم الندوات والمؤتمرات، وتكتب حول سيرتهم وعلمهم وجهودهم البحوث والرسائل الجامعية والمؤلفات.

ولكننى سوف أقصر الحديث على علاقتى الشخصية والرسمية بأستاذ الأجيال، العالم والأستاذ، الأديب والمؤرخ، اللغوى والمجمعى، الدمياطى، الريفى والإنسان المتواضع أستاذنا الدكتور شوقى ضيف، ذلكم الرجل الذى عرفته عندما قرأته منذ حوالى أربعين عاماً، ولكن صلتى توثقت به حين شرفت بالاقتراب منه منذ عشر سنين أعدها أزهى سنى عمرى، عرفت الأستاذ الدكتور الأديب اللغوى الإنسان فى أثناء فترة تشرفى برئاسة قسم اللغة العربية وعمادة كلية التربية بفرع الجامعة فى دمياط مسقط رأس الأستاذ الجليل.

وقد زخرت السنوات العشرون الأخيرة بظاهرة منتديات الجامعات لتكريم الأعلام الراسخين فى أقاليم نشأتهم الأولى، كدأب جامعةالمنيا مع عميد الأدب العربى طه حسين.

وبالرغم من نبل القيمة وشرف المقصد إلا أننا رأينا فى مجلس كليتنا بدمياط رأيًا – اعتقدناه أكثر إنصافا وعدلا – وهو: لماذا لا نقوم بتكريم الأحياء من أعلامنا النابهين كما نكرم الراحلين المبرزين؟ لم لا يشاركنا هؤلاء الأفذاذ مؤتمرات تكريمهم وفرحة الاحتفاء بهم فنفيد منهم، ونتلقى توجيهاتهم، ونشعرهم بأنهم قد جنوا ثمرة متواضعة لما غرسوا وشيدوا وقدموا طيلة سنوات كفاحهم ؟!

وكانت البداية الموفقة الرائعة، والموافقة الكريمة من الأستاذ الدكتور الكريم أن بدأنا أول مؤتمر لأعلام دمياط فى مارس عام ١٩٨٥ تحت عنوان:

مؤتمر شوقى ضيف الثقافى

وقد كان دعم سيادته وحب الزملاء فى القسم والكلية ومجلس جامعة المنصورة، ومحافظ دمياط وقيادتها وشعبها والمشاركة المخلصة لأخى وصديقى **أ.د. طه وادى** وراء ضمان النجاح الباهر والموفق فى الإعداد للمؤتمر.

وقد جاء مؤتمرنا فى صبيحة السادس عشر من مارس عام ١٩٨٥ ليكون مهرجاناً ثقافيا إعلاميا ناجحا بكل المقاييس مما فاق جميع التوقعات فى الأوساط الجامعية والإعلامية، حدث هذا أيها السادة والسيدات حبًّا وتقديراً وتكريمًا للمحتفى به أستاذنا شوقى ضيف.

وقد شاركت وفود من عشر جامعات مصرية، وثلاثة وفود من السعودية، والأردن، والبحرين، ووفد من جامعة بكين للغات الأجنبية، فضلا عن المشاركة الكريمة لمجمع اللغة العربية، وأحد الوزراء، ومحافظ دمياط، ومحافظ الدقهلية، وأدباء ونقاد وإعلاميون ممثلون لكافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ووكالة الأنباء، ووزارة الثقافة، ومصلحة الاستعلامات إضافة إلى العديد من المراسلين فى الصحف المحلية والقومية والعربية.

وقد بلغ جملة المشاركين من الضيوف إضافة إلى أبناء الجامعة والإقليم أكثر من ٢٥٠ مشاركا، أما المشاركون من الجامعة وشعب دمياط وشبابها فقد ناهزوا الألفين بما فيهم جميع قياداته وكبار شخصياته العلمية والسياسية والإدارية والتشريعية والمحلية.

وقد قدم ونوقش بحلقات البحث فى المؤتمر نحو ثلاثين بحثا فى الأدب والنقد، واللغة والنحو، والدراسات الإسلامية والتربوية، كما تم بث العديد من برامج الإذاعة والتليفزيون مع التغطية الصحفية الشاملة طيلة أيام المؤتمر وقبله وبعده بأكثر من أسبوعين.

ومن الجدير بالذكر أن وفد جامعة بكين قام بتقديم أحد مؤلفات أستاذنا مترجما إلى اللغة الصينية تحية لسيادته يوم تكريمه. وقد صدرت فى نهاية المؤتمر توصيات مفيدة وقرارات هامة دأبت الكلية والجامعة على تنفيذها، فضلا عن القرارات التى أصدرها وتابع تنفيذها على مستوى الإقليم محافظ دمياط حينئذ العالم المتميز الدكتور أحمد جويلى..

وقد أصدرت الكلية كتابا جمع بحوث المؤتمر مطبوعا بعد انعقاده بشهرين. وقد كان مؤتمر شوقى ضيف فاتحة خير، وبشارة تميز، حيث استمرت مؤتمراتنا حول شخصيات فذة من شعب دمياط المعطاء فى فضله وتاريخه، المعطاء فى أبنائه وأعلامه علما وفكرا، فنا وأدبا، صناعة وتقدما. ولعل أعلام دمياط فى تاريخنا القريب لا يخفون على منصف فمنهم – على سبيل المثال – إضافة إلى أستاذنا الجليل: الدكتور على مصطفى مشرفة، والدكتور عبد الحليم منتصر، والدكتور زكى نجيب محمود، والدكتورة عائشة عبد الرحمن، والدكتور عبد الرحمن بدوى، والدكتور محمد حسن الزيات، وحسب الله الكفراوى، والشيخ على الغاياتى، والنحوى الجليل الشيخ الخضرى، والأدباء والفنانون: طاهر أبو فاشا، وفاروق شوشة، وصلاح منتصر، وسعد أردش، وكثير كثير من الأعلام الذين يستحقون التكريم والذين كرمت الكلية بعضهم، ويأتى المؤتمر التاسع لتكريم الدكتور محمد زكى العشماوى بعد أسبوعين تقريبا.

لتسمحوا لى أيها السادة والسيدات أن أقترب من فكر شيخنا الجليل شوقى ضيف وتصانيفه ومؤلفاته وبحوثه وتحقيقاته، تلكم الأعمال التى زادت عن الخمسين، متسمة بالموضوعية والعمق والتحليل، هذا غير جهوده الثرية ومتابعته النشطة داخل مجمع الخالدين فى مجلسه ولجانه ومؤتمره أكثر من عشرين عاما حتى انتخب نائبا للرئيس، وفى الميدان المجمعى نجد شيخنا يقف فارسا متفوقا فى مجالات أصول اللغة وقضاياها حماية لها وحلا لكثير من مشكلاتها.

ومما شغلت به فى دراساتى مشروع أستاذنا للمجمع فى تيسير النحو عام ١٩٧٧، ومشروعه عام ١٩٨١، وتيسير النحو التعليمى عام ١٩٨٦، وتيسيرات التجديد والتيسير للغتنا الجميلة الخالدة: أساليبها وأبنيتها وتراكيبها حيث احتشدتُ لتطبيق كثير مما جاء فى نظريته نحو تيسير المنهج فى الدرس النحوى، وسعيت وثابرت سنوات حتى أصدرت (التركيب النحوى وشواهده القرآنية) فى ثلاثة أجزاء كان شيخنا أحد أبرز الأعلام الذين تلمذت عليهم.

وقد حفل الجزء الثالث وكذلك الجزآن الأول والثانى – كما جاء فى دستور الكتاب بمحاولات جادة نحوت فيها نحو كثير من آراء شيخنا الجليل فناقشتها، وطبقت كثيرا منها فى إطار تيسيرى معنيًّا بالدلالة والسياق والإعراب للتراكيب اللغوية عموما، وللتراكيب القرآنية على وجه الخصوص.

وقد حرصت فى الكتاب على هيكل اللغة كما نطقها فصحاؤها ونزل بها القرآن، وهو النهج الذى ارتضاه إمام النحاة سيبويه وتلاميذه قبل اتساع الفلسفة النحوية وازدياد المماحكات حولها، وقد حاول الكتاب وهو يرنو إلى الجديد الميسر أن يحافظ على الإطار النحوى العام الذى لم يختلف القدماء حوله، لذا حاولت ربط أى جديد يغاير نظرة الأقدمين أو يخالف ما ألفه المحدثون مما حفظوا عن السالفين، أقول: حاولت ربط الجديد برأى لأحد النحاة الموثوق بهم مستندا إلى توجيه مدرسة الكوفة فى بعض المسائل مع إقامة فرصة أكثر للاجتهاد وصولا إلى الهدف الذى سعى إليه الكتاب وارتآه المنهج، مصطحبا فى كثير من القضايا آراء ومقترحات شيخنا الجليل شوقى ضيف، وخصوصا ما أبدعه حول تقسيم الجمل ومحلها الإعرابى.

أستاذى الجليل: أهنئكم بمحبيكم وزملائكم من الرواد وتلاميذكم من العلماء والباحثين ومريديكم من كل حدب وصوب، وأدعو لكم بطول العمر والصحة والسداد.

أساتذتى وزملائى وأصدقائى: أحييكم وأشكر لكم حسن استماعكم وأعتذر عن الإطالة وأدعو لكم جميعا بالتوفيق، ولكلية الآداب بالتقدم والازدهار، ولمصر بالرخاء والأمن والاستقرار.

أ. د. محمد أبو الفتوح شريف

عميد كلية التربية بدمياط